

## الفصل الثاني



التربية الإسلامية ... تربية مثالية

obeykandi.com

إذا رجعنا الى الاتجاهات الحديثة في التربية في القرن العشرين ودرسنا مبادئها وطرقها وأنظمتها وجدنا ان التربية الاسلامية قد سبقتها بقرون في المناداة بكثير من المبادئ والأساليب التربوية الهامة ، وفي الاسهام في النهضة العقلية ، والمثل الخلقية . وسنبين تلك الآراء الخالدة بإيجاز فيما يأتي :

## ١ - الحرية والديمقراطية في التعليم :

تأثرت طرق التربية والتعليم في التربية الاسلامية تأثرا كبيرا بمبدأ الحرية والديمقراطية ، فقد نادى الاسلام بمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص في التعليم ، فيسرت سبل التعليم ووسائله أمام الطلبة جميعا ، وفتحت أبواب المساجد والمعاهد الدراسية للجميع ، من غير تفرقة بين الغنى والفقر ، والرفيع والوضيع من المتعلمين اذ لا فضل في الاسلام لعربي على عجمي الا بالتقوى والتعليم فيها بالمجان ، والطلاب غير مقيدين بسن محددة أو أشهر معدودة ، أو شهادات خاصة أو درجات معينة في الامتحانات أو قواعد مسنونة لاختيارهم . فمتى وجدت لدى المتعلم الرغبة في الدراسة ومحبة العلم ، والشغف بالبحث والاطلاع يسرت امامه وسائل التعلم وشجع على طلب العلم وخاصة اذا كان ذكيا نابها.

ولم تكتف الامبراطورية الاسلامية بإنشاء المساجد والمعاهد ودور العلم والحكمة لنشر التعليم بل اغدقت عليها كثيرا من الاموال والخيرات . ووقف عليها الموسرون من المسلمين كثيرا من العقارات والاقواف كي يتمكن الطلاب الفقراء من متابعة الدراسة والتعمق في الثقافة ، والتفوق في البحث والاستمرار في طلب العلم والمعرفة . وقد ظهر في الاسلام كثير من العظماء والعلماء من أبناء الفقراء نذكر منهم الغزالي والامام الشافعي والجاحظ . . رحمهم الله رحمة واسعة . فقد وجدوا طلب العلم ميسرا امامهم فانتهزوا الفرصة وجدوا وثابروا ودرسوا وتعمقوا في دراستهم وانتفعوا بما اوتوه من ذكاء وذاكرة وقوة ملاحظة فخلدوا أسماءهم بين العلماء أو الادباء أو الفلاسفة أو الفقهاء .

ولم تكن المواد الدراسية مقيدة بمناهج محددة بل كان الطلاب

فى كل مادة يدرسون كتابا معينا ، فاذا ما انتهوا من دراسته انتقلوا الى كتاب آخر األى درجة منه فى تلك المادة وهكذا حتى ينتهوا من دراسة الكتب التى يريدونها .

كان التعليم واجبا دينيا فقد فرضه الاسلام على كل مسلم ومسلمة . لهذا تحمس الاغنياء فى اقامة دور التعليم من المساجد والمعاهد والمدارس والكتاتيب ودور الكتب وتزويدها بما تحتاج اليه من المؤلفات والادوات ، تقربا الى الله تعالى حتى تؤدى رسالتها على الوجه الاكمل وينتشر التعليم وتظهر النفوس ويتمسك المتعلمون بكل فضيلة ومن تلك المنافسة النبيلة بين الأثرياء من المسلمين قديما فى انشاء المعاهد الاسلامية نلمس كيف كانوا يشعرون بالواجب نحو نشر العلم والثقافة بين المسلمين .

فالمجهود فى نشر التعليم لم يكن على عاتق الدولة وحدها ، فقد كان الموسرون فى العصور السالفة - لا فى عصرنا هذا - ينشئون دور التعليم من تلقاء انفسهم ، ويتبرعون لها بما فى استطاعتهم من التبرعات ولم يتركوا كل العبء على الدولة بل تعاونوا معها ابتغاء مرضاة الله . وكانت الدولة تقوم بالتخطيط والارشاد والتوجيه وتساعد فى انشاء المباني التعليمية واعدادها بالاجهزة والمراسد والمعامل مساعدة تتفق وعظمة الامبراطورية الاسلامية وقوة سلطانها ولم يقيد التعليم بقيود حديدية او مؤهلات علمية او مصروفات مدرسية او شروط استعمارية كى لا يضعوا عقبة فى سبيل من يريد التعليم من البنين والبنات . وفتحت ابواب التعليم على مصاريعها امام كل راغب فى الدراسة العلمية والدينية وفى كل وقت وكل دار من دور التعليم . وهذه هى الديمقراطية الحققة فى التربية والتعليم .

كان التعليم بالمجان والغذاء بالمجان والاقامة بالمجان فى المراحل المختلفة من التعليم فى المعاهد الاسلامية ، وهذا اكبر مظهر من مظاهر الديمقراطية فى الاسلام وان هذا الروح الديمقراطية الاسلامى الذى انتشر فى التعليم لا نجده حتى اليوم بين اأغنى الدول الاوربية او الامريكية .

وفى التربية الاسلامية لم يضطر الفقراء من طلاب العلم الى السعى للحصول على المجانية فى اية مرحلة من مراحل التعليم أو الكد والعمل صيفا وشتاء لتوفير المصروفات المدرسية أو الجامعية . ولم يكن الفقر فى عصر الامبراطورية الاسلامية الحرة المستقلة عقبة فى سبيل التعلم فى

أى معهد بل أعطى الفقراء كل فرصة في أن يتعلموا التعليم الذى يبفونه ولم توضع امامهم العقبات بل مهدت لهم كل السبل ، وزودوا بجميع الوسائل التى تيسر لهم التفرغ لطلب العلم من مجانية فى التعليم واقامة بالاقسام الداخلية . وتغذية صحية ومساعدة مالية وانتفاع بما فى المكتبات من كتب ومراجع .

ولم يطالب أبناء الفقراء من المسلمين بالاكْتفاء بالتعليم الابتدائى أو الثانوى والرضا بمراكزهم المتواضعة فى الحياة بسبب الفقر بل شجعوا على اللحاق بالمعاهد العليا وأعطى الجميع الفرصة في أن يتعلموا حتى النساء والجوارى . وكان المسلمون ينظرون الى العلماء والادباء والفقهاء نظرة كلها اجلال واكبار ، سواء اكانوا أغنياء أم فقراء ولهذا شجع الآباء أبناءهم على التعليم والاقبال على المعاهد الدراسية وقد بدأنا منذ سنوات فى نشر التعليم الابتدائى والثانوى بالمجان والتغذية فى المدارس الابتدائية بالمجان وفى هذا المبدأ رجوع الى ماضينا الاسلامى المجيد وتقاليدينا الاسلامية الديمقراطية العريقة .

وفى التربية الاسلامية الاولى لم يكن هناك نظام طبقات فى التعليم ولم تخلق مدارس بمصروفات للأغنياء القادرين ومدارس اولية بالمجان للفقراء المعدمين الا فى عصر الاحتلال - فالاحتلال هو الذى أدخل نظام الطبقات والتفرقة فى التعليم بين الأغنياء والفقراء فأنشأ مدارس ابتدائية وثانوية وعالية بمصروفات لأبناء الموسرين القادرين ومدارس اولية قليلة بالمجان لأبناء الطبقات الفقيرة .

لقد سوى الاسلام بين أبناء الأغنياء والفقراء فى التعليم ومنحهم جميعا الفرصة في أن يتعلموا من غير تفرقة بينهم . ولم يقل احد من المسلمين ان الفقراء خلقوا ليعملوا بأيديهم فى الحقول والمزارع والمعامل والمصانع ، وان الأغنياء وجدوا ليتحكموا فى الفقراء ، ويسيطروا عليهم بما أوتوا من مال وثراء ، لم يدع احد فى الاسلام ان الذكاء مقصور على الأغنياء وانهم خلقوا ليتحكموا ، وان الفقراء أغبياء خلقوا ليتحكموا . فالذكاء هبة فطرية من الله تعالى بمنحها الفقراء كما يمنحها الأغنياء ولم يجعله مقصورا على طبقة من الطبقات . وقد سوى الاسلام بين الفقراء والأغنياء فى حق التعليم ، ومهد لهؤلاء وأولئك الفرص الملائمة للتزود بالعلوم والمعارف .

لم يقل الاسلام للفقراء انكم خلقتُم للمراكز المتواضعة وخلق الأثرياء للمراكز العالية . كما كان يقال فى أوربا حتى القرن التاسع

عشر . بل نادى الاسلام دائما : الناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى . وهذه هي الديمقراطية والعدالة والمساواة في الاسلام .

والحق ان المعاهد الاسلامية لم تقيد بشروط معينة للحاق بها ولم ينتظر من طالب العلم الا امر واحد هو الرغبة في العلم ، والاقبال عليه . والتعطش للتعلم . ولم توصد ابواب المعاهد والحلقات الدراسية في وجه طالب من طلبة العلم وقد وهب الاساتذة والعلماء حياتهم للعلم والتعليم . ولم ينتظروا اجرا او راتبا ، بل كانوا يشتغلون بمهنة التعليم ابتغاء مرضاة الله ويستعينون على المعيشة في الحياة بحرفة او صناعة يتخذونها في بعض اوقات فراغهم .

لهذا كله اقبل الطلاب على العلم لذات العلم ، وظهر كثير من العلماء والادباء والمؤرخين الافذاذ كابن سينا والفارابي والفراي ، والكندي وابن الهيثم وابن خلدون والطبري وابن الاثير والجاحظ والمعري والتنبي .

ولا عجب ، فقد كانت سبل التعليم مسيرة للجميع والكتب متوافرة للطلبة والحياة ممهدة لا يجد النابهون والاذكياء من الفقراء اية عقبة في سبيلهم . لذلك وجد منهم عظماء من الفقهاء والمفسرين والمحدثين ، وعلماء اللغة ، والادباء ، الذين خدموا الدين واللغة والعلم والادب خدمة عظيمة نلمسها فيما تركوه من مؤلفات ثمينة وكتب قيمة .

وخلاصة القول : ان التربية الاسلامية تتمثل فيها المبادئ الديمقراطية ، من الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص في التعليم ، من غير تفرقة في طلبه بين الموسرين والمعدمين وان المسلمين كانوا يعدون طالب العلم فريضة دينية وواجبا روحيا لا وسيلة لفرض مادي ويقبأون عليه بقلوبهم وعقولهم ويطلبونه برغبة قوية من تلقاء أنفسهم . وكثيرا ما كانوا يقومون برحلات طويلة شاقة في سبيل تحقيق مسألة علمية او دينية .

## ٢ - التربية الخلقية الكاملة اسمى اغراض التربية الاسلامية :

تعد التربية الخلقية المثالية اسمى اغراض التربية الاسلامية فقد عنى علماء الاسلام كل العناية ببث الاخلاق الكريمة وغرس الفضائل في نفوس المتعلمين ، وتعويدهم التمسك بالفضيلة ، وتجنب الرذيلة ،

والتفكير في الناحية الروحية والانسانية والتفرغ للدراسة العلمية والدينية من غير نظر الى ناحية مادية .

وان من يقرأ ما كتبه فلاسفة الاسلام من آراء في التربية وتهذيب الاخلاق يلمس الاتجاه دائما نحو المثل السامية ويرى انهم كانوا يطلبون العلم لذات العلم ويعدون طلبه عبادة ويقضون حياتهم دائبين في البحث والدراسة للوصول الى لب الحقيقة دون تفكير في مال او جاه او مركز ، ويقدمون العلم والعلماء ، وكمال الاخلاق . فالعلم في نظرهم اعظم شيء في الحياة ، والعلماء العاملون ورثة الانبياء . ولا يستطيعون تأدية رسالتهم العلمية الا اذا تحلوا بكل فضيلة وظهروا أنفسهم من كل رذيلة . وعن طريق العلم والعمل الصالح كانوا يسمون بأرواحهم ويتقربون الى خالقهم جل شأنه .

وان تلك المثالية النادرة التي امتازت بها العصور الذهبية للاسلام هي سر عظمتها وقوتها الروحية ، وقد أدت الى نشاط كبير في التأليف والانتاج العلمي والعمل عن ايمان وعقيدة بثبات وشجاعة واقدام . لهذا كله كان مستوى العلماء الخلقى والروحي رفيعا ونجحوا في حياتهم ونهضوا في كل ناحية . وقادوا العالم في العصور الاسلامية الاولى في حضارتهم الاسلامية ، ومدنيتهم الروحية ، ومثلهم العالية في الدين والاخلاق ، ودافعوا عن الانسانية بمبادئهم الديمقراطية من الحرية والاخاء والمساواة والعدالة المطلقة . وفي الوقت الذي عنيت فيه التربية الاسلامية بالناحية الروحية والخلقية لم تهمل اى نوع من انواع التربية العقلية او الجسمية او الرياضية او الاجتماعية والعلمية والعملية فوصلت الى التربية المثالية الكاملة للانسان ، وتركت تلك التربية اثرا لا يستطيع ان ينكره احد في العمل عن ايمان وعقيدة والعلم لذات العلم .

وقد نهضنا الان في الميادين العلمية والادبية والمادية ولكننا لم نصل الى المستوى الروحي والخلقى الذى وصل اليه المسلمون في العصور الاولى من الاسلام . والحق اننا في حاجة شديدة الى التفكير في الناحية الروحية والتربية الخلقية المثالية حتى نعيد مجدنا السالف وعظمتنا الاسلامية القديمة .

## ٢ - خاطبوا الناس على قدر عقولهم :

هذا مبدا من اهم المبادئ في التربية الاسلامية ويعد من احدث المبادئ في التربية الحديثة . وينبغى أن تكتب هذه النصيحة بقلم من

النور على باب كل مدرسة ، فلا يخاطب الاطفال بلغة لا يفهمونها ولا يخاطب الكبار بلغة الصغار . وهذا ما يشير اليه الفزالي بقوله : « أن يقتصر المعلم بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلفه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله » اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال : « نحن معاشر الانبياء امرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم » فليبحث اليه المعلم الحقيقة اذا علم أنه يستطيع فهمها مستقلا بنفسه وليضع كل طفل في الموضوع اللائق وليختار للمتعلمين المادة التي يدركونها وليكلمهم على قدر عقولهم ، وليخاطبهم بالعبارة التي يفهمونها ، واللغة التي يحسنونها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلفه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم » . وان التربية الحديثة تنادي بما نادى به الرسول الكريم من مخاطبة المتعلمين على قدر عقولهم ومراعاة مستواهم العقلي ومستواهم العلمي ، حتى يدركوا الاحاديث التي تقال لهم ، والموضوعات التي يدرسونها . فلا يخاطب الاذكى بما يخاطب به الاغبياء ، ولا يخاطب الخاصة بما يخاطب به العامة . فالذكي يفهم الشيء بالاشارة والغبى ربما لا يفهمه الا بعد أن يكرر له عدة مرات . ولذلك قيل : كل لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك . وضع كل شيء في موضعه وهى خير نصيحة لو استطاع ان ينفذها كل مرب ومربية .

#### ٤ - التفرقة في الطريقة التي تتبع في التعليم :

فطريقة تعليم الاطفال تختلف عن الطريقة التي تتبع في تعليم الكبار . وقد نادى الفزالي بهذا الرأي لان هناك فرقاً بين ادراك الصغار وادراك الكبار حيث قال :

( ان من اول واجبات المربي أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه لان الموضوعات الصعبة تؤدي الى ارتباك العقلى وتنفره من العلم ) ويشاركه العلامة ابن خلدون في هذا الرأي قائلاً :

وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذى ادركنا يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون للمتعم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبون ذهنه بحلها ، ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم

وصوابا فيه . . فان قبول العلم والاستعداد له ينشأ تدريجيا . .  
فالفزالي وابن خلدون وغيرهما من فلاسفة التربية الاسلامية يرون ان  
تفكير الطفل يختلف عن تفكير الرجل ، ويجب مراعاة ذلك في طريقة  
التدريس لكل منهما . ويعد هذا الرأي من أهم الآراء في التربية الحديثة  
في القرن العشرين .

فالطفل يحتاج الى الامور المحسنة التي تتصل ببيئته والمواد  
السهلة التي يمكنه ان يفهمها والرجل يستطيع ان يدرك الامور المعنوية  
التي تتفق مع العقل والمنطق .

### ٥ - التربية الاسلامية تربية استقلالية :

ان من ينظر الى طرق التدريس في التربية الاسلامية - في المساجد  
والمعاهد ودور العلم - يجد انها كانت ترمى الى تعويد الطلبة الاعتماد  
على انفسهم في التعلم ، فالمدرس او المحاضر يعين لطلبته بعد الانتهاء  
من درسه كل يوم تعيينا خاصا من الكتاب الذي يدرسه ، لقراءة  
التعيين قبل الدرس واعداده والاجتهاد في فهمه . فاذا ذهب الطلاب  
الى الدرس اصفوا الى استاذهم ، واستمعوا اليه وهو يشرح الدرس،  
ويفسر النقط الصعبة فيه ويرشد من يحتاج الى الارشاد ويساعد من  
يحتاج الى المساعدة ويجب عما يسألونه من الاسئلة ويناقشهم فيما  
يحتاج الى مناقشة .

وبهذه الطريقة يعتاد الطلاب الاعتماد على النفس في القراءة  
والفهم والبحث ويربون تربية استقلالية .

وكانت طريقة التعيينات متبعة في الجامع الازهر وقد كونت  
افذاذا من العلماء المعروفين بالعلم والصلاح والتقوى والشجاعة الادبية  
وكان المحاضر يلقي محاضراته وهو متمكن منها كل النمكن ويشرح آراء  
العلماء ويبين وجهة نظر كل منهم ويبدي رايه الخاص ويترك للطلبة  
الحرية في الاسئلة والمناقشة . وفي التربية الحديثة تسمى طريقة التعيين  
طريقة دلتون وهي طريقة حديثة تنسب الى «مس هيلين باركهرست»  
وقد جربت طريقته في بلدة دلتون بولاية ماساشوستس من الولايات  
المتحدة بأمريكا . وهي لا تختلف عن الطريقة الازهرية قديما في التربية  
والتعليم .

## ٦ - نظام التعليم الفردي في التربية الإسلامية :

إننا نقصد من التعليم الفردي مراعاة قوة كل فرد ومستواه فيما يدرسه من المواد وفي عالم التربية اليوم حركة قومية تحض على اتباع هذا النظام . وقد تعجب اذا عرفت انه روعي في التربية الإسلامية العريقة منذ قرون مضت وكان لكل طالب الحرية في أن يختار أستاذه الذي يتلقى العلم عنه ولا يفرض عليه أستاذ معين ويختار المواد التي يدرسها ويسير في كل منها على حسب مستواه ، وكانت التبعة في الدراسة والبحث تلقى على عاتق الطالب فهو ملزم بأعداد الدرس أو التعمين وقراءته ومحاولة فهمه ومناقشته مع غيره من زملائه قبل أن يحضر درس أستاذه وسؤال الأستاذ عن النقاط التي يشعر بصعوبتها في الدرس وكان يسير مع أستاذه من درس الى درس حتى ينتهي الكتاب الذي يقرؤه الأستاذ . وكان المدرس على صلة روحية كبيرة بتلاميذه ، يعرف قواهم وميولهم ورغباتهم وإبراعها في تدريسهم وللصلة الروحية القوية بينه وبينهم كانوا يستفيدون كثيرا من علمه وخلقه ، وينتفعون من الاتصال به روحيا وعلميا .. وهذا روح التربية الحديثة اليوم .

وكان المتعلمون يشبعون رغباتهم بما يحتاجون اليه من العلم ويعتمدون على أنفسهم في البحث وراء الحقيقة حبا في الوصول اليها يرشدهم المعلم حين يحتاجون الى الارشاد ويجدون لذة في التعلم ويعطون الحرية في العمل بأنفسهم ، فيتعودون الجِد والمثابرة على العمل والاعتماد على النفس والتغلب على الصعوبات التي تعترضهم ، ويمرنون على اتقان العمل واجادته ويعتادون الصفات الضرورية للنجاح في الحياة العلمية والعملية .

ولم يقتصر طلاب العلم على التحصيل من الكتب وحدها فكان أساتذتهم يشجعونهم على الرحيل في سبيل طلب العلم للاتصال بالعلماء والادباء والمؤلفين وأخذ العلوم من منابعها الأصلية . وكثيرا ما احتل الطلاب قديما مشاق السفر الطويل للاتصال شخصا بأساتذتهم ، ورحلوا الى اقاصى البلاد الإسلامية لتحقيق مسألة علمية أو فقهية واحدة .

من هذا كله نرى أن التربية الإسلامية كانت تنادى بحسن الصلة بين المدرس وتلاميذه ومراعاة مستوى المتعلمين ومواهبهم واستعداداتهم والرحلات في سبيل الدراسة والبحث العلمي . وهذه كلها مبادئ نعدها مثالية في التربية الحديثة في القرن العشرين .

## ٧ - مراعاة الاستعدادات الفطرية والفرائز الطبيعية للمتعلم في ارشاده الى المهنة التي يختارها :

لقد طالب علماء التربية الاسلامية بمراعاة ميول المتعلم واستعداداته الفطرية وقدراته الطبيعية عند ارشاده الى المهنة التي يختارها في مستقبل حياته وخاصة ابن سينا فقد نادى بالعناية بدراسة ميول الطفل وجعلها أساسا لارشاده وتربيته قائلا : ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ولكن ما شاكل طبعه وناسبه... ولذلك ينبغي لمدير الصبي اذ رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبي ، ويسير قريحته ويختبر ذكائه . فيختار له الصناعات بحسب ذلك . وهى نصيحة ثمينة لابن سينا ينصح فيها المربين الذين يريدون اختيار صناعة لصبي من الصبيان أن يزنوا طبعه او ميله ويعرفوه ويختبروا عقله وذكائه . حتى يختاروا له صناعة تناسب ميله وعقليته ، فاذا كان يميل الى الدراسة الادبية وجه اليها واذا رغب في الناحية العملية شجع على اختيارها واذا احب الدراسة العلمية أعطى الفرصة في دراستها . وهذا رأى من ائمن الآراء في التربية الاسلامية ونحن ننادى به اليوم في التربية الحديثة .

وليس من السهل ان ينبغ المتعلم في كل مادة يدرسها ولكنه يستطيع ان يتفوق ويكون ماهرا في المواد التي يحبها ويميل الى دراستها . ومن المحال ان ينبغ في المواد التي يكرها وينفر منها .

ولا ابالغ اذا قلت ان التربية الاسلامية كانت تفكر في الاذكياء وتلتقطهم كما تلتقط الازهار من الحقائق وتعنى بهم كل العناية وتضعهم في المواضع التي تناسب ذكاءهم وتوجه غير الاذكياء والمتعلمين الى الناحية العملية بعد الامام بالضرورة من الدراسة الدينية وتوضح لكل طالب ما يليق بطبعه من العلوم اذ كل ميسر لما خلق له ، فالتربية الاسلامية تربية مثالية قد نادت منذ اكثر من الف سنة بما ينادى به علماء النفس والتربية اليوم وانتظرت من المدرس ان يفكر في حال الطالب اذا كانت لديه زيادة في الفهم بحيث يقدر على حل المشكلات وكشف العضلات ويهتم بتعليمه اشد الاهتمام . والا فليعلمه القدر الكافي لمعرفة الفرائض والسنن ، ثم يأمره بالاستئغال ، وليكن بصيرا في اختبار ذهنه وعقله وقياس ذكائه ويبين لكل طالب ما يليق بطبعه من العلوم .

وهنا نلمس ان التربية الاسلامية لا تختلف عن التربية الحديثة في مراعاة مستوى الطفل وحسن اختيار المادة له والتدرج معه في الدرس

على قدر استعدادده ، واعطاء الذكى فرصة فى اتمام تعليمه باية وسيلة وتوجيه الغبى الى الاشتغال بالناحية العملية ، بعد اختبار ذكائه . وان فكرة الاختبارات العقلية او مقاييس الذكاء التى نفخر ونتباهى بها فى القرن العشرين قد روعيت فى العصور الذهبية للتربية الاسلامية بطريقة عملية . ولا ابالغ اذا قلت ان فلاسفة الاسلام نادوا بما ننادى ونفخر به اليوم .

## ٨ - الولع بالعلم والتفرغ للدراسة :

كان الطلاب مولعين بالعلم محبين للتعلم ، منفرغين للدراسة يقضون جل اوقاتهم فى البحث والاطلاع والقراءة والدرس ومحاولة الفهم وحل العضلات من الاعتراضات العلمية وهضم العلم الذى يدرسونه ويجدون لذة كبيرة فى الفحص عن العلوم والمسائل ويمكنون نهارهم وليلهم - الا اقله - فى اعداد دروسهم لليوم التالى ويهبون شبابهم وحياتهم لطلب العلم والمعرفة ويستيقظون من نومهم مبكرين لصلاة الفجر ثم حضور درس التفسير او الحديث ثم الفقه ثم اللغة .

لهذا كان من بين المسلمين اعلام العلماء وكبار الفلاسفة ومشهورو الفقهاء والكتاب والادباء والشعراء والمؤلفون واللغويون وانتجوا مؤلفات ضخمة قيمة فى التفسير والحديث والفقه والتوحيد والبلاغة والادب والنحو والصرف والمعاجم اللغوية . وهى كتب ومراجع لا يستطيع احد من علماء اليوم فى الشرق او الغرب ان يقوم بمثلها .

## ٩ - العناية بالخطابة والمناظرة وتربية اللسان :

كان من اهم انواع التربية الاسلامية التربية اللسانية وهى تمويده اللسان حسن التعبير مع دقة التفكير والارتجال فى الخطابة والاقناع فى المناظرة والمناقشة والمجادلة وتعد طلاقة اللسان فى الكلام الآن من الضروريات للنجاح فى حياة المعلمين والمحامين والسياسيين ... واذا نظرنا الى التربية فى عصرنا هذا وجدنا عناية كبيرة بالكتابة واهمالا تاما للمناظرة والخطابة مع ان الحياة الديمقراطية تتطلب العناية بكليهما تتطلب الفصاحة والبلاغة فى كتابة الرسائل والمقالات والقاء الخطب ارتجالا وتحتاج الى تربية اليد لتكتب كتابة بليغة واللسان ليتكلم كلاما

فصيحا وبعبارة أخرى تحتاج الى استعمال القلم وذلاقة اللسان وقوة البيان . فنحن نطالب اليوم بجودة التعبير بالقلم واللسان معا بحيث لا نغنى بأحدهما ونهمل الآخر .

فكما ننتظر من المربين أن يربوا الطلاب ليفكروا بعقولهم ويشعروا بقلوبهم وينفذوا بارادتهم ننتظر منهم عنايتهم بالخطابة والمناظرة واجادة التعبير بالقلم واللسان .

ولا يستطيع احد ان ينكر اثر المناظرات والمناقشات في المنتديات والمجتمعات الاسلامية في النهضة العلمية والادبية والدينية .

#### ١٠ - الرفق في معاملة الاطفال :

كانت التربية قبل الاسلام تتبع أساليب الشدة والقسوة في معاملة الاطفال وتربيتهم فقد كان الجلد منتشرا ، والعقاب القاسى شائعا ، ولكن فلاسفة الاسلام تنبهوا الى مضار هذه الاساليب في التربية فحذروا من استعمالها ونادوا بالرفق في تربية الاطفال وعلاج اخطائهم بروح الشفقة والرافة والعطف والرحمة ومعرفة البواعث التي أدت الى هفواتهم والعمل على تداركها ، وتفهم الاولاد نيتجتها ، وساروا مع الطرق المثلى في التربية وحملوا حملة شعواء على الشدة والقسوة في التربية وعدوها قاتلة للهمم ، مخيبة للذكاء ، مؤدية الى الذل والخداع .

#### ١١ - نظام الجامعات الشعبية مقتبس من التربية الاسلامية :

كانت التربية الاسلامية مرنة ، تفتح أبوابها لكل راغب في طلب العلم قادر على الفهم تشجع المتعلمين على الاستمرار في التعلم والبحث العلمي ، لا تتقيد بسن او مجموع درجات او ترتيب في امتحانات ولا تطلب منهم مصروفات .

فالنظام الحديث للجامعات الشعبية اقتبس منه أوروبا من التربية الاسلامية في عصورها الاولى تلك التربية التي قدست العلم وعدته نوعا من العبادة ورغبت النشء في التعلم ، ولم تشترط مؤهلات معينة او شهادات خاصة او نسبا ماثوية محددة ولم تقيد بقيود من الفولاذ ، وشروط كلها تعقيد وتعجز ولم تضع عقبات في سبيل من يرغبون في طلب العلم .

فالدين الاسلامى دين علم ونور لا دين جهل وظلمة ونظام الجامعات الشعبية التى تعمل لنشر الثقافة العامة بين الراغبين فى تكملة انفسهم ثقافيا وعلميا وادبيا وفنيا من ابناء الشعب وبنائه - مقتبس من انظمة التعليم فى التربية الاسلامية فى عصورها الذهبية .

## ١٢ - العناية بدور الكتب لتشجيع على البحث والاطلاع :

لقد عنت التربية الاسلامية كل العناية بانشاء دور الكتب العامة والخاصة ولا نبالغ اذا قلنا ان انشاء المكتبات من مبتكرات التربية فى الاسلام لتشجيع العلماء والطلاب على البحث والقراءة والاطلاع ونسخ بعض الكتب الثمينة وترجمة ما يستحق الترجمة منها واقتناء ما يصح اقتناؤه من الكتب الدينية والعلمية والادبية واخلقية. ففى دور الكتب الاسلامية كنت تجد الباحثين والمطلعين والناسخين والمترجمين وكان لهم اثر فى الحضارة الاسلامية والنهضة العلمية .

وان ننسى لا ننسى ما تركه المسلمون من كتب قيمة دينية واخلقية واجتماعية وعلمية وادبية وما كتبوه من الموضوعات التربوية فيها . ومن تلك المؤلفات :

كتاب السياسة لابن سينا - وكتاب المدخل للعبدى - وكتب الامام الفزالى - والدرارى فى الدرارى لابن العديم الحلبى والمقدمة لابن خلدون وكتاب جامع بيان العلم وفضله للنمرى القرطبى والبيان والتبيين للجاحظ .

وهناك كتب محدودة فى التربية مثل كتاب تعليم المتعلم للزرنوجى واحكام المعلمين والمتعلمين لمحمد بن زيد وكتاب الفضيلة لاحوال المعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين للقابسى القيرونى « وهو مخطوط بدار الكتب المصرية » ورسالة المعلمين للجاحظ وترغيب الناس الى العلم للفطمونى وآداب المعلمين لابن سحنون .

## ١٣ - وظائف المعيدى فى الجامعات اخذتها المعاهد الاوربية والامريكية من التربية الاسلامية :

كانت وظائف المعيدى من الاساليب التربوية فى المعاهد الاسلامية القديمة وقد تائرت الجامعات الاجنبية بالتربية الاسلامية فى انتفاعها

بنظام المعيدين في الجامعات بعد تخرجهم فيها لتمريضهم على مهنة التدريس وتشجيعهم على الاستمرار في الدراسة والبحث العلمي والاستزادة من العلوم للتعلم في الدروس والاطلاع والانتاج في التأليف والتصنيف واظهار البحوث العلمية والادبية والدينية وقد تأثر الغرب بهذا النظام حتى وقتنا هذا .

### آراء موجزة للغزالي تتفق مع التربية الحديثة وعلم النفس :

ولنذكر هنا بإيجاز آراء للغزالي تتفق تمام الاتفاق مع أحدث آراء فلاسفة التربية وعلم النفس في القرن العشرين :

- ١ - مهنة التعليم اشرف المهن وطلب العلم لا يتأتى مع المشاغل .
- ٢ - يجب الا يعامل الفلمان جميعا معاملة واحدة في التهذيب بل يعامل كل منهم وفق مزاجه وطبائعه ويراعى استعداد كل طفل .
- ٣ - يجب ان نبادر بتأديب الطفل من الصغر .
- ٤ - ينبغي تعويد الطفل الاخشيستان في الطعام واللباس والفراش .
- ٥ - يجب ان يأخذ الطفل حظا وافرا من الرياضة البدنية واللعب الجميل حتى لا يموت قلبه وتسوء معيشته .
- ٦ - يجب ان يعود الاخلاق الجميلة والعادات الحميدة ويجنب الرذائل والمساوى ويحفظ من قرناء السوء .
- ٧ - تجب مكافاته على كل خلق جميل او فعل حميد يظهر منه والاقتصاد في لومه وتعنيفه عند وقوع الذنوب .
- ٨ - يحسن التدرج في ترك الاخلاق السيئة اذا صعب تركها مرة واحدة .
- ٩ - ينبغي الا يدع المعلم شيئا من نصح المتعلم وان يزجره عن سوء الخلق بطريق التعريض لا التصريح وبطريق الرحمة لا التوبيخ .
- ١٠ - يجب الا يدع المتعلم فنا الا وينظر فيه نظرا يطلع به على غايته ، ثم يتبحر فيه اذا ساعده العمر .
- ١١ - يجب الابتداء بالأهم من العلوم فان العمر لا يتسع لجميعها .

١٢ - ينبغى الا يخوض المتعلم فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله .

وهذه كلها آراء سديدة ونصائح ثمينة وارشادات منطقية ، نرجو ان يعمل بها المربون والمربيات من آباء وأمهات ومعلمين ومعلمات .

**آراء علماء الاسلام فى بعض الفرائز وتربيتها وهى تتفق مع آراء علماء النفس اليوم :**

ان من يطلع على ما خلفه علماء الاسلام من كتب يرى كثيرا من الآراء لهم فى الفرائز وتربيتها والدراسات للقوى الانسانية وصلتها بالتربية الخلقية . فهم يقولون ان فى الانسان :

١ - قوة للتمييز والتفكير .

٢ - وقوة غضبية - تشمل الغضب والنجدة والاقدام وحب التسلط والترفع .

٣ - وقوة شهوية تشمل طلب الغذاء وأنواع اللذات الحسية .

ولا يرون شرا فى الشهوات أو الفرائز الا اذا زادت على حد الاعتدال فالنزالى مثلا يرى ان الشهوة - وهى الفريزة - خلقت فى الانسان لفائدته وانها ضرورية فى الجيلة أو الطبيعة .

ويرى عبد الرحمن بن الجوزى فى كتاب الطب الروحانى (ص ٣) ان جميع ما وضع فى آدمى انما وضع لمصلحته اما لاجتلاب نفع كشهوة الطعام أو لدفع ضرر كالغضب فاذا زادت شهوة الطعام صارت شرها فأذت . واذا زاد الغضب اخرج الى الفساد .

واننا نوافق الفزالى وابن الجوزى فى ان الفرائز خلقت فى الانسان لمصلحته وانها ضرورية له ، ويجب ألا تزيد على حد الاعتدال . ومعنى هذا انه يجب تعديلها وتربيتها وتعليتها كما يقول علماء النفس اليوم .

ويرى ابن الجوزى ايضا ان الاصل فى الأمزجة الصحة وان العلل طارئة وان اقوم التقويم ( أى احسن التربية ) ما كان فى الصفر فاذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعبا .

واننا نمتقد أن هذه الآراء لا يستطيع احد ان ينكرها من علماء النفس والتربية اليوم .

والفزالى يرى ان الطفل يتقبل الخير والشر ولا يدرك فى طفولته الفرق بينهما حيث يقول : « وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعترى المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه . » فانزالى يقول باثر التربية فى تهذيب الفرائز والميول الفطرية وتربيتها وتشجيع ما يستحق منها التشجيع . وتعديل ما يحتاج الى تعديل ولا يقول بكبتها ، ويعتقد ان كل طفل يولد معتدلا قابلا للخير والشر ، يتأثر بالبيئة التى يعيش فيها فان كان فى بيئة يهودية نشأ يهوديا وان كان فى بيئة نصرانية او مجوسية كان نصرانيا او مجوسيا وان نشأ فى بيت اسلامى كان مسلما يدين بالاسلام .

وهذا هو المقصود بقول الرسول الكريم : « كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » وهى آراء ناضجة صحيحة لفلاسفة الاسلام نادوا بها منذ قرون طويلة وهى لا تختلف عن آراء المحدثين فى علم النفس اليوم .

ولا يمكننا ان ننسى قول الفزالى : « ان النواة ليست بتفاح ولا نخل قبل ان نتعهدا بالفرس والتربية على ان التربية لا يمكنها ان تغير من استعداد النواة لقبول بعض الاحوال دون بعضها الآخر فتجعل من نواة النخل تفاحا ومن نواة التفاح نخلا . فكذلك الفضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر - لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما « وقيادتهما » بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه .

ومن هذا نرى ان الفزالى ادرك تمام الادراك الوراثة وقوانينها والتربية واثرها والكبت وضرره واقر باثر التربية والتهذيب ، فنواة التفاح تنبت تفاحا ونواة النخل تنبت نخلا ، ولكنهما فى حاجة الى من يتعهدهما بالفرس والتربية والرقابة والعناية . على ان التربية لاتستطيع ان تغير الوراثة . وتجعل من نواة النخل تفاحا ومن نواة التفاح نخلا ومعنى هذا ان للوراثة اثرا كبيرا فى حياة الانسان ومظهره فهو يشبه اباه وامه او جده او جدته من الطرفين فى الصفات الجسمية والعقلية وابناء الاذكيا اذكيا وابناء المعتوهين معتوهون . وقد ثبت هذا كله فى علم النفس العام . ومن قوله نستنبط : ان قمع الفضب وقهر الشهوة وكبت الفرائز بالكلية تضر الطفل كل الضرر ، ومن الخير ان

تقوده بالارشاد والنصح والتهذيب والمحاولة حتى نهذب ما لديه من غضب أو شهوة أو غريزة جامحة .

وقد اهتم فلاسفة الاسلام بالفروق الفردية بين الاطفال تلك الفروق الناشئة عن الاختلاف في الوراثة أو الاختلاف في الميول والاستعدادات الفطرية . وادركوا تلك الفروق الفردية وراعوها في التربية والتعليم وقاموا بما ينادى به علماء التربية الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين في وقت كان يقول فيه أحد الفلاسفة من الاوربيين في القرن الثامن عشر : « التربية تستطيع أن تفعل كل شيء » ناسيا الوراثة واثرها والاستعدادات الفطرية لدى النشء وماذا تستطيع التربية أن تفعل مع طفل ضعيف العقل أو معتوه أو في منتهى الفباوة ؟

ان التربية الحديثة بما أوتيت من وسائل مشوقة وأنظمة جميلة وطرق جديدة لا تستطيع مطلقا أن تفعل شيئا مع هذا النوع المسكين من الاطفال . ولا يمكنها أن تحول المعتوه الى طفل ذكي أو فائق الذكاء مهما تحاول ومهما تقدم له من العناية والتربية .

وقد كان فلاسفة الاسلام في دراستهم للفرائز والميول الفطرية متفائلين فلم يقولوا كما قال فلاسفة أوربا في القرون الوسطى ان الميول الغريزية والطبيعة البشرية فاسدة ، بل تفاءلوا كل التفاؤل وبحثوا تلك الميول والفرائز ودرسوها دراسة عميقة ، ثم استنبطوا في نهاية البحث ان من الممكن تربيتها وتهذيبها ، وان لها فوائد ولا يستطيع أحد الاستغناء عنها ، فشهوة الطعام تؤدي الى المحافظة على الحياة والغريزة الجنسية لو زالت من العالم لحكم على الانسان بالفناء . ولو فقدت غريزة الغضب - وهي المقاتلة - ما استطاع النوع الانساني الدفاع عن نفسه . وان من يطلع على ما قاله فلاسفة الغرب في الميول والاستعدادات الفطرية قديما يجد انهم نادوا بكبتها وقمعها ، والقضاء عليها في حين ان فلاسفة الاسلام لم يقولوا بالكبت والقمع بل اتخذوا الحد الوسط ونادوا بتربيتها وتهذيبها وتعليتها وراوا الاعتدال في معالجتها ، وهذه هي الفضيلة عينها . وبهذا الرأي اتفقوا مع المحدثين من علماء النفس في عصرنا هذا .

وقد وضع الامام الغزالي ان الرسل - وهم معصومون من الخطأ - لم ينزهوا عن الغضب وان الرسول الكريم محمد بن عبد الله كان يغضب للحق ويحمر وجهه من الغضب ولكنه مع غضبه كان يتمالك نفسه ويضبط شعوره ولا يصدر عنه الا الحق دائما .

وخلاصة القول ان التربية الاسلامية لم تعمل على قمع الفرائز وكتبتها ولكنها عملت على تعديلها وتربيتها وتهذيبها وتوجيهها بالارشاد والنصح الى الطريق المستقيم واخضاعها لسلطان العقل والتفكير والحكمة وادخال القوة الناطقة وهى التفكير لدى الانسان فى الحكم والتوجيه . فالقدماء من فلاسفة الاسلام كانوا يسبقون القرن العشرين بمئات السنين . ومع هذا كانوا يتفوقون مع علماء النفس فى هذا القرن فى الوسائل التى بها تربي الفرائز والميول الفطرية فى الانسان .

### التربية الاسلامية وأثرها فى النهضة العلمية والعقلية :

لايستطيع أحد ان ينكر أن للتربية الاسلامية اثرا كبيرا فى النهضة العلمية والعقلية فقد ترك علماء الاسلام اثرا خالدا فى الفقه الاسلامى والفوا كتباً مفصلة وموجزة فى المذاهب الاربعة للأئمة : أبى حنيفة والشافعى ومالك وأحمد بن حنبل . وان من يطلع على تلك المؤلفات النفسية يجد تراثا ضخما فى التشريع الاسلامى والعبادات والمعاملات وتحديد العلاقات الروحية والاجتماعية والعملية الخاصة بالانسان . ويدل ذلك التراث على عظمة علماء الشريعة الاسلامية وقدرتهم النادرة على البحث والتفكير والاستقراء والاستنباط والحكم والتعليل ومشايرتهم العظيمة على الدراسة الفقهية التشريعية التى تتفق مع الدين والعقل والمنطق .

ولم يكتفوا بما الفوه من كتب قيمة فى الشريعة الاسلامية بل وضعوا قوانين اللغة العربية وقواعدها من النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والعروض والقوافى . واستنبطوا تلك القواعد والقوانين بطريقة مبتكرة دقيقة ، تدل على عقل منظم . وتفكير سديد ، ورأى ناضج والمأم تام بكل ما يتعلق باللغة العربية لغة القرآن الكريم من نثر وشعر . ولم يترك هؤلاء العظماء من العلماء صفيرة ولا كبيرة فى اللغة الا بحشوها ودققوا الفحص عنها . وتفننوا فى الشعر وبحوره وحددوا اسسه وقوانينه بدقة متناهية .

وفى تفسير القرآن الكريم وشرح الأحاديث النبوية الفوا كتباً قيمة وشروحا كثيرة مفصلة ومختصرة فى نواح متعددة تبرهن على ما أوتى الفقهاء وعلماء الاسلام من عظمة عقلية وذكاء فائق وصبر نادر ومقدرة علمية على البحث والتأليف والتبيين والتوضيح .

ولم يكتف العلماء بما الفوه من الكتب فى العلوم الدينفة بل أسهموا فى تدوین آثارهم وأعمالهم العمرانیة والسیاسفة والاجتماعفة وتركوا آثارا خالدة فى كتب التاریخ والجغراففا وكان لهم أثر كبر فى كتابة التاریخ الإسلامى ودراسة الشعوب والبلدان دراسة جغراففة واسعة.

ولم یکن فلاسفة الإسلام ضیفى العقول محدودى الأفق فى التفكير، بل كانوا واسعى الاطلاع غزیرى المادة شغوفین بالعلوم العربفة والاجنبفة فاطلعوا على كل حضارة قديمة ودرسوها دراسة مستفیضة وقرءوا قراءة عميقة ما كتبه المصریون القدماء والفرس والهنود والاغریق من طب وطبیعة وكیمفاء وفلك وریاضة وفلسفة وموسىقا ، وأضافوا الى ما درسوه وما قرءوه كثیرا من الآراء والافكار والتجارب والنظریات وخاصة فى الطب والطبیعة والكیمفاء والریاضة فى عصر الامبراطورفة الاسلامفة . وكانت مؤلفات العلماء من المسلمین فى تلك العلوم واضحة وضوحا تاما فیها كثیر من التجارب وتطبیق النظریات العلمفة . ولا نبالغ اذا قلنا ان علماء الإسلام قد خدموا العلوم ببحوثهم العلمفة خدمة عظيمة لا یستطیع ان ینكرها أحد . وان البحوث التى قاموا بها لا تقل فى أهمفئها العلمفة عما قام به علماء أوربا .